## (19) عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه

هو أيضًا مؤذن الرسول ﷺ، أسلم مبكرًا، وحرص على تلقى العلم، وكان رسول الله ﷺ يكرمه، لأن الله تعالى عاتبه فيه، وأنزل قصة هذا العتاب قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، ومن تقدير الرسول ﷺ له استعمله على المدينة المنورة مرات عديدة عند خروجه للغزوات.

والعجيب أنه رغم ذهاب بصره سأل الله تعالى أن يرزقه الشهادة. وقد أكرمه الله تعالى بها فمات شهيداً فى سبيل الله.. كيف ذلك؟، وما هى قصة حياته وكفاحه؟. هذا ما سنتعرف عليه خلال القراءة.

***

اسمه عبد الله، أو عمرو بن قيس، وهو ابن أم مكتوم، حيث أن أمه عاتكة بنت عبد الله كُنيت بأم مكتوم؛ لأنها ولدته أعمى، وهو ابن خال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضَى الله عنها.

وما إن ظهرت دعوة الإسلام، وأشرق نورها، حتى سار ابن أم مكتوم فى رحابه، وصار من اتباعه وحملة هذا النور، فقد أسلم رضي الله عنه مبكرًا، وتحمل الأذى فى سبيل الله تعالى شأنه شأن غيره من أوائل المسلمين، وكان حريصًا على تعلم أحكام الدين، والإقبال على ما يتنزل على رسول الله ﷺ من آيات بينات، يقرأها ويحفظها، ويعمل بما فيها، فما وجد فرصة إلا وأقبل على رسول الله ﷺ يسأله.

وذات يوم كان رسول الله ﷺ مع رجل أو رجال من كبار المشركين وزعمائهم يعرض عليهم الإسلام، ويتلوا عليهم قرآن ربه عسى قلوبهم أن تلين وتبصر طريق الخير والنور فتسير فيه، أو يكفوا أذاهم عنه وعن أصحابه...

دخل ابن أم مكتوم رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله، أرشدنى وعلمنى مما علمك الله. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وأقبل على زعماء قريش يعرض عليهم الإسلام، وانصرف الرجل حزينًا. ثم نزل القرآن الكريم يعاتب رسول الله ﷺ.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ

الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: 16:1].

هكذا قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة فى حق هذا الرجل الجليل، الحريص على العلم.. بعدها كان رسول الله ﷺ يكرمه أعظم إكرام، ويسأل عنه إذا غاب، بل إنه بعد الهجرة استخلفه على المدينة المنورة مرات عديدة.

***

بعد اشتداد الأذى بالمسلمين أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة. فكان ثانى من يهاجر إليها بعد مصعب بن عمير رضي الله عنه. وعندما بنى الرسول ﷺ مسجده كان المسلمون يؤدون الصلاة جماعة فيه، ويتلقون الدروس وأحكام الدين، ويستمعون لجديد الآيات المنزلة. وذات يوم جاء ابن أم مكتوم رضي الله عنه إلى النبى ﷺ وأخبره أنه أعمى ليس له قائد يقوده إلى المسجد، وسأله أن يرخص له فى التخلف عن صلاة الجماعة، وأن يصلى فى بيته. فسأله الرسول ﷺ: «**هل تسمع النداء بالصلاة أى الآذان**». فقال: نعم يا رسول الله. قال: «**فأجب**». أى فعليك أن تجيب النداء وتأتى المسجد لصلاة الجماعة، ولا عذر لك طالما سمعت الآذان.

وعندما شُرع الأذان للصلاة كان بلال بن رباح رضي الله عنه، وعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه مؤذنيْن للمسلمين، فكان بلال يؤذن وابن أم مكتوم يقيم الصلاة، وفى شهر رمضان كان هناك آذان للسحور يؤذن به بلال رضي الله عنه، وآذان للإمساك يؤذن به ابن أم مكتوم رضي الله عنه.

وعندما فرض الله الجهاد على المسلمين دفاعًا عن أنفسهم، وفتحًا لأبواب الدعوة، وقتالاً لمن يصدون عن سبيل الله، ويمنعون وصول النور لمن أعماه الظلام وأرهقه الجهل.

عرف ابن أم مكتوم فضل الجهاد وما أعده الله للمجاهدين والشهداء فى سبيله فتمنى أن لو كان مبصرًا يستطيع الجهاد، وذهب إلى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت. فنزل قول الله تعالى فى حقه يوضح أنه ليس عليه شئ لعذره ﴿**لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي**

سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95] فسُر ابن أم مكتوم رضي الله عنه ؛ لأن الله تعالى أنزل عذره، وعذر غيره من أهل الأعذار. بل إن رسول الله ﷺ قال فى حق هؤلاء الذين يحبسهم [1] العذر عن الجهاد، سواء كان العذر عمىً أو مرضًا أو عجزًا أو عدم وجود ما يُحملون عليه، قال لأصحابه: «**إن بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير، ولا قطعتم من واد، إلا وهم معكم فيه**». قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟! قال: «**نعم حبسهم العذر**» رواه البخارى وأبو داود.

❊ ❊ ❊

مرت السنوات إلى أن تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفى هذه السنوات كانت نفس ابن أم مكتوم رضي الله عنه تتوق [2] للجهاد فى سبيل الله، ويتمنى الموت شهيداً لينال مراتب الشهداء. وقد واتته الفرصة فى العام الرابع عشر الهجرى عندما خاض المسلمون معركة القادسية ضد جيوش الفرس، فقد خرج مع الجيش وهو يلبس ملابس الجهاد، وقد حدد لنفسه عملاً، وهو أن يحمل اللواء، فهو أعمى لا يستطيع الفرار.

وبدأت المعركة وحمى وطيسها [3] واستمرت ثلاثة أيام، وانجلت فى النهاية عن رفع راية التوحيد على بلاد فارس، وسقوط راية الكفر والوثنية. ومات فى المعركة ابن أم مكتوم رضي الله عنه شهيداً، ونال ما كان يرجوه ويصبو [4] إليه، ووجبت له الدرجات العالية مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقًا.

❊ ❊ ❊

---

(1) حبسهم: منعهم وقيدهم.

(2) تتوق: تشتاق.

(3) حمى وطيسها: اشتدت وجدّت.

(4) يصبو: يحن ويتشوّق.